

صناعة التفاؤل منى الشعلان



التفاؤل من الصفات الحميدة التي كان يُحِبُّها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من آثار حُسنِ الظن بالله والإيمان به تعالى، والرجاء فيه، بتوقُّع الخير بما يسمعه من الكلم الطيب.

ويعتبر التفاؤل من الصفات الرئيسية التي يتحلى بها كل إنسان ينشد السعادة ويطمح في النجاح ويسعى إليه.

وقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لَا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأَلُ». قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ».

■ نماذج من المتفائلين:

-إمام المتفائلين □ :
وهو نبينا عليه الصلاة والسلام وقدوتنا وأكثر الناس بشراً وتفاؤلاً ؛ ولا أدل على ذلك مما حدث في غزوة الأحزاب، وما حصل فيها من عناء ومشقة ومن نقص الغذاء وبرودة الجو، ومعاناتهم في حفر الخندق، والحصار الجماعي الذي قامت به القبائل العربية واليهودية على المسلمين، ومع ذلك كله كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يفرس في أصحابه الأمل والتفاؤل، ويبشرهم بفتح بلاد فارس، والشام واليمن.

-تفائل الصالحين :

وإذا قيل الصالحون فبهلاً بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهم أصلح الناس وأتقاهم.

وقد أرسل أهل الكوفة كتاباً إلى أمير المؤمنين الخليفة الصالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلبون منه المشورة بغزوة نهاوند. وقد حمل الكتاب إليه قريب بن ظفر، فلما قدم على عمر بالخبر، قال: ما اسمك؟ قال: قريب بن ظفر. فقال عمر رضي الله عنه : "ظفر قريب إن شاء الله". أخذ من قريب بن ظفر "ظفر قريب إن شاء الله" تفاؤلاً. وكتب جواب الكتاب إلى أهل الكوفة كما جاء في كتاب "الإصابة".

■ عوائق التفاؤل:

للتفاؤل عدة عوائق تعيق الإنسان عنه وتضعف بصره وبصيرته فمن ذلك:

□ ضعف الوازع الديني :

بعد فقد الوازع الديني من أقوى معوّقات التفاؤل لعدم حسن الظن بالله والاتكال عليه سبحانه ، فيجب على المسلم أن يكون متفائل وأن يتوقع الأجل والأفضل لأنه في معية الله وفي حفظه ورعايته، والله سبحانه يُحبُّ المتفائلين ويُعطيهم على تفاؤلهم، فثق بوعد ربك حيث قال جل جلاله :
{وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَعْرَةَ مِنْهُ وَقَفْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

□ التشائم :

فالتشائم هو أحد أهم العوائق في طريق التفاؤل وهو الداء الذي ينتاب كثيراً من النفوس ، وهو الذي جعل الكثيرين ينظرون للمستقبل نظرة سوداوية فنجدهم باستمرار يعودون أدراجهم للوراء بحثاً عن بصيص أمل مفقود! .

قُلْ لِلَّذِي مَلَآَ التَّشَاؤْمُ قَلْبَهُ
ومضى يُضَيِّقُ حَوْلَنَا الْأَفَاقَا

سُرُّ السَّعَادَةِ حُسْنُ ظَنِّكَ بِالَّذِي
خَلَقَ الْحَيَاةَ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَا

□ اليأس :

لا ييأس من رحمة الله وعفوه وكرمه إلا من أخطأ سبيل الصواب، وغفل عن رجاء الله عزوجل الذي لا يخيب من رجاءه .
قال تعالى : (إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ)

اما المؤمن فمتفائل ومؤمن بوعد الله تعالى فدوماً قلبه معلق بالأمل بالله - عز وجل - فهو الخالق وحده لا شريك له، ومدبر الأمر كله:

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه
لا تيبأسنَّ فإنَّ الكافي الله

□ كلمة (لو) :

نهى النبي □ عن الإكثار من كلمة (لو) لما تحمل في طياتها من التشاؤم وعدم الوثوق بوعد الله تعالى لقول الرسول □ : "اسْتَعِينْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ."

□ القنوط من رحمة الله :

وهو من يقنط ويستحسر ويبعد الرجاء والأمل، ويتوَقَّع إصابته بالفشل والخيبة، واستبعاده للفرح بعد الشدائد؛ والفرح بعد الحزن، واليسر بعد العسر.
قال تعالى: " لا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوقُوسٌ قَنُوطٌ " .
فينبغي على المسلم أن لا يقنط من رحمة الله سبحانه ورحمته واسعة وفضله عظيم .

لا تَقْنَطَنَّ إِذَا مَا شَدَّ عَرَضَتْ
أَوْ عُمَّةً فِي ثَنَائِيَا الصَّدْرِ تَعْتَلِجُ

سَبْرِي سُبُلُ اللَّهِ مَا تَحِيَا النَّفُوسُ بِهِ
وَالصَّبْحُ عَمَّا قَرِيبٍ سَوْفَ يَنْبَلِجُ

■ ثمار التفاؤل:

للتفاؤل ثمراته الكثيرة الياعة والتي يجنيها المسلم المتفاؤل والواثق بوعد الله تعالى ومن ذلك:

□ حسن الظن بالله تعالى :
فحسن الظن من العبادات القلبية التي طالما غفل عنها كثير من المسلمين، قال الله عزوجل في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي؛ فليظن بي ما شاء".

والمسلم مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (الفرق بين الفأل والطيرة: أنَّ الفأل من طريق حُسْنِ الظَّنِّ بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء فلذلك كُرِهَتْ).

□ التوكل على الله سبحانه :
فالتوكل على الله عبادة المؤمنين ، وسبيل الصادقين، وملجأ المخلصين ، وباب المتقين ، وهو من أسباب النجاح ، قال الله تعالى : {وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ} .

□ الاقتداء بالرسول :
فإنه يجب علينا الاقتداء بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهو الأئمة، الذي أمرنا الله تعالى أن نقتدي به ، فقد كان يتفاعل في حروبه وغزواته، قال -تعالى- : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

□ تجديد الأمل :
وهو أن يتوقع المؤمن ويأمل الخير دائماً وأبداً ويحسن الظن بالله تعالى ، فالتفاؤل يبعث في نفس المسلم الرجاء، ويقوي عزائمهم ويجدد فيهم الأمل قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ)

أَعْلَى النَّفْسِ بِالْأَمَالِ أَرْمُهَا
مَا أَضِيقُ الْعَيْشَ لَوْلَا مَسْحَةُ الْأَمَلِ

□ القدرة على مواجهة العقبات:

فالتفاؤل يمنح القدرة على مواجهة المواقف الصعبة، واتخاذ القرار المناسب، ويتيح للمسلم رؤية المواقف الصعبة على أنها مواقف مؤقتة يمكنه تجاوزها وقد شبهها شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله - بقوله:

" العوارض والمحن هي كالحر والبرد، فإذا علم العبد أنه لا يد منهما لم يغضب لورودها، ولم يغتم لذلك ولم يجزن " .
وقد صدق شيخ الإسلام في تشبيهه فهذه الصعاب والعقبات سرعان ما تنجلي بالتوكل على الله تعالى والتفائل والدعاء :

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي
أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ فَاعَلَهُ

□ المرونة في العلاقات الاجتماعية:

فالتفاؤل يجعل الإنسان أكثر مرونة في علاقاته الاجتماعية، وأكثر قدرة على التعايش مع الناس ومخالطتهم فتجد الإبتسامة لا تفارق محياة والتغاضي منهجه وتقدير الآخرين سلوكه ومنهجه .

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- وهو يذكر فوائد حديث خبير وأن فيه : "جواز التفاؤل، بل استحبابه بما يراه أو يسمعه مما هو من أسباب ظهور الإسلام، كما تفاعل النبي □ برؤية المساحي والفؤوس والمكاتل مع أهل خبير، فإن ذلك فأل في خرابها" .

والتفاؤل شعبة من شعب الإيمان، فالمؤمن يفرح بفضل ربه وبرحمته، ولو لم يفعل ذلك ويئس؛ فإن إيمانه سينقص ولا ريب.

وقد أكدت العديد من الدراسات التي أجريت أنّ الإنسان المتفائل يتمتع بمناعة مضاعفة عن الإنسان المتشائم، وذلك لأن جسم الإنسان المتفائل يفرز بعض الأنواع من الهرمونات التي تساعد على زيادة كفاءة الجهاز المناعي لمساعدته على التصدي لمختلف الأمراض التي من

الممكن أن يتعرض لها وتعصف بعقله وحياته.

فيجب أن نربي أنفسنا وأجيالنا على التفاؤل في أحلك الظروف، وأقسى الأحوال، وأصعب المواقف، فالمتفائلون هم الذين يصنعون العجد، ويكتبون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.

أقلم اليائسون والمتشائمون، فلن يستطيعوا أن يبنوا حياةً سوية، وسعادةً حقيقية في داخل ذواتهم، فضلاً عن أن يصنعونها لغيرهم، أو يُبَسِّرونها بها سواهم؟ وقد يبعث قول: "فاقد الشيء لا يعطيه" والمؤمن هو من يسير في هذه الحياة متفائلاً معطاءً يجني من ثمار التفاؤل ويقدمها للآخرين ولا يلتفت لعوائق التفاؤل وعقباته على حد قول الشاعر:

وأسير في الدنيا وعَصْنُ عَزيمتي
صَلْبٌ وَبَابٌ تَفَاؤُلِي لَا يُغْلَقُ

لَنْ تُطْفِئَ الْأَوْهَامُ نُورَ تَفَاؤُلِي
مَأْنَا الْقَوِيَّ وَهَقْمَتِي لِأُتْرَهَقُ

أحيا ونور الله يَشْكُنُ أضلعي
فعلام أمضي في الحياة وأفلق

□ نيضة:

الفأل والإيجابية من صفات سيد البشرية □ والحياة السعيدة تحتاج منا إلى الكثير من التفاؤل وعدم اليأس وتغذية النفس بالعديد من عبارات التحفيز والإيجابية.

منى الشعلان